الدرس التاسع
اختيار الموضوع (الإشكالية) (2)

ومن هذا المنطلق على الباحث في ميدان الكتاب التاريخية أن يأخذ بعين الاعتبار أمورا كثيرة وهو يختار موضوعا لبحثه، منها:

1. الجدوى العلمية:

قد يحدث أن تظهر بعض المواضيع العامة من الوهلة الأولى أنها عديمة الفائدة، لكن بمرور الوقت وعبر تفحص وتمحيص لمختلف جوانب الموضوع المختار، قد نكتشف بأنه موضوع ذو فائدة، ومن الممكن أن يكون موضوعا شيقا. لأن رغبة الباحث في أن يكون بحثه مفيدا تشكل مصدرا هاما من مصادر الإلهام له. لأن اختيار بحث نرى فيه فائدة بالنسبة للآخرين يمكن أن يؤدي إلى فائدة مؤكدة ومستمرة خلال كل مسعى البحث. ونعني هنا أن لا يكون البحث في موضوع تستحيل معالجته لعدم قدرة الإنسان على ذلك كمعرفة حقيقة الذات الإلهية، فإنها من الأمور التي يمتنع على الإنسان إخضاعها للبحث لاستحالة الوصول فيها إلى النتيجة المطلوبة، لأنها فوق مستوى الإدراك العقلي للإنسان، ويلحق بالمستحيل الموضوعات المتعسرة معالجتها، إما لعدم قدرة الإنسان على الوصول إلى ذلك، أو لأن كلفة البحث بدنيا وماليا أكثر بكثير مما قد يحصل عليه الباحث من نتائج.

2. تبادل الأفكار:

إن تبادل الأفكار مع الآخرين مسالة هامة تساعد في اختيار موضوع للبحث أكثر دقة وفائدة، إذ يمكن للزملاء أن يوقظوا اهتمامنا بالحديث عن المواضيع التي نتنبه لها قبل ذلك، إما بدعم قناعتنا أو يبينوا لنا الصعوبات. كما يساهم الأساتذة من ذوي المستوى العالي نتيجة تراكم الخبرات عندهم بتقديم ملاحظات دقيقة يمكنها أن تساهم في تحديد المسار أمام الباحث بين القبول والاستمرار أو التوقف وإلغاء فكرة الاختيار. كما أن تبادل الأفكار حول

مواضيع البحث يسمح بالتفتح على آفاق جديدة تمكننا فيما بعد من اختيار موضوع بحث جيد.

3. البحوث السابقة:

إن البحوث السابقة هي واحدة من الأمور التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار من الباحث عند اختياره لموضوع البحث، فعليه أن لا يتجاهل هذه الجزئية مهما كانت الآلية التي يعتمد عليها الباحث في عمله. وعلينا التذكر أن كل بحث ما هو إلا امتدادا لبحوث سابقه، لذلك لابد من استعراض الأعمال المنجزة من قبل حول الموضوع والتي سوف تمكنه من الإحاطة بموضوع بحثه وضبطه بصورة أدق.

4. الإنتاج الشخصي:

إن النتاج الشخصي للباحث يمكنه الاعتماد على هذا الرصيد الشخصي للوصول إلى القراءة الصحيحة عند اختيار عنوان البحث، لأن هذه الخبرة الشخصية إلى جانب القراءات المتعددة تدفع إلى طرح تساؤلات جديدة، والقيام ببحث ربما يكون حول موضوع جديد.

5. الرغبة والقدرة الشخصية:

المقصود هنا أن يكون الطالب مهيئا نفسيا لموضوع معين مقرونا ذلك بمقدرة ذاتية للكتابة، ففي ذلك استثمار مجزي لخلفياته العلمية عن تحقيق رغبة شخصية للتصدي لمشكلة معينة، فكلما لقي موضوع معين هوى واهتماما خاصا لدى الطالب دون سواه من المواضيع، كلما كان ذلك محركا فعالا لطاقته العلمية ودافعا له على الاستمرار في دراسته ومتابعته بعناية فائقة، والتغلب على الصعوبات التي تواجهه خلال إعداده البحث وحتى انجازه بالصورة المطلوبة. وعليه، تبقى الخبرة الشخصية للباحث في الميدان الذي يعمل فيه مصدرا مهما لاختيار الموضوع.

6. قابلية الانجاز:

مهما كان اختيارنا للموضوع أكثر أهمية وفائدة، إلا أنه سيبقى من دون قيمة إذا لم تتوفر شروط انجازه، وعليه عند اختيار الموضوع لابد من الأخذ بنظر الاعتبار قابلية إنجاز البحث. وبناءا عليه، علينا الأخذ بنظر الاعتبار الالتزام بمقاييس التنفيذ بمجرد اختيارنا موضوع بحث ما، وهذه المقاييس هي:

أ. توفر الوقت الكافي: من الصعب على الباحث في ميدان الدراسات التاريخية كبقية الميادين الأخرى، أن يوفق بين عملين في الآن واحد. وعليه من الشروط الأساسية الواجب توفرها عند الشروع في كتابة البحث هو توفر الوقت الكافي الذي يجعل الباحث قادرا على انجاز عمله بأريحية تامة. وعلى سبيل المثال نجد من المعوقات التي يشير إليها طلبة (مرحلة الماستر) في نظام ليسانس ماستر دكتوراه (ل.م.د) في الجامعة الجزائرية هي مشكلة ضيق الوقت في انجاز البحث على اعتبار ان سداسيا بحد ذاته لا يكفي لانجاز بحث بالمستوى المطلوب. وهذا يستدعي جهدا مشتركا من الإدارة والأستاذ المشرف في تهيئة الطالب للعمل من بداية السنة الثانية بما يؤهله لانجاز العمل في الوقت المحدد وفق أسس الجودة والقيمة العلمية الحقيقية.

ب. الموارد المادية: على الباحث أن يأخذ بنظر الاعتبار حدود الموارد المادية المتوفرة لديه، وهذا يفرض عليه أن يختار موضوع البحث حسب الحاجات ومتطلبات المؤسسات العمومية والخاصة. وذلك من أجل مساعدته في تغطية نفقات البحث. وإلا فان الباحث قد يتعرض- بمرور الوقت- لمصاعب مادية تفرض عليه التوقف عن العمل لأنه لم يعد قادرا على توفير الموارد المالية التي تسهل عليه مهمة السفر أو الحصول على المصادر الغير متوفرة في مدينته، فإذا كانت حالة الطالب المالية لا تساعده على ذلك فالموضوع لا يناسبه. وعليه فإن الموارد المادية تعتبر من الأمور الهامة التي يجب أن يأخذها الباحث بنظر الاعتبار عند التخطيط لانجاز بحث ما.

ج. إمكانية الوصول إلى المصادر: يعتبر واحد من أهم المقاييس التي تمكن الباحث في انجاز بحثه على أحسن وجه. فإمكانية الوصول إلى المصادر التي تخص البحث من عدمها، يمكنها أن تحدد إمكانية انجاز العمل من عدمه. لأن عدم توفر المصادر يعني عدم توفر مادة البحث، والبحث بلا مادة لا يكون بحثا؛ لأن ندرة المصادر والمراجع قد تعيق الباحث كثيرا في استكمال بحثه، فيرى نفسه في نهاية المطاف عاجزا عن إكمال طريقه، فيتوقف عن البحث. حيث توجد موضوعات تكون مصادرها نادرة، وهناك موضوعات تقل فيها الوثائق العلمية المتعلقة بحقائقها، كما توجد موضوعات غنية بالوثائق والمصادر الأصلية. وهو عامل أساسي وجوهري في تحديد واختيار الموضوع.

د. درجة صعوبة الموضوع: عند اختيار موضوع ما لابد من الأخذ بنظر الاعتبار درجة صعوبته. والمقصود هنا، عدم اختيار موضوعا يتطلب منا تتبع اتجاهات عدة في آن واحدة. لأننا عندئذ سوف نقع في مطبات كثيرة نتيجة ذلك، مما يؤدي إلى فشلنا في دراسة الموضوع المختار.

هـ. الخيال الخلاق: يمكن للخيال أن يذهب في الاتجاه الايجابي الذي يمكن أن يلعب دورا هاما في انجاز العمل بالصورة المثلى. والمقصود بالخيال الخلاق هنا المبني على أساس منطقي علمي، من خلال تصور الأحداث التي تخص الموضوع.

وكذلك، على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار بعض الأمور عند اختياره لموضوع بحثه، لأنها سوف تساهم في تجنيبه الوقوع في الأخطاء، نذكر منها:

- العناية الدقيقة في تحديد إشكالية البحث: والتي يجب ان تصاغ بكل عناية ودقة لتكون مفرداتها عنوان البحث الذي يستقر عليه الباحث، وذلك من أجل تطابق المادة التاريخية مع العنوان بالشكل المطلوب والمقبول. ليجنبه الاحتمالات والغموض الذي قد يكون خللا بينا في هيكل البحث الذي يقدمه الباحث. ويذكر الدكتور عبد الرحمن عميرة

شروطا يجب توفرها في العنوان، وهي: ألا يكون طويلا مملا ولا قصيرا مخلا ولا غامضا يدعو إلى الحيرة والتساؤل.

- الابتعاد عن الموضوعات المدروسة من قبل: جهد الإمكان وإذا كان الأمر لابد منه، فعلى الباحث أن يقدم معلومات أو مصادر جديدة لم يتوصل إليها أحد ممن كتبوا في ذات الموضوع من قبل.
- التأكد من وفرة المعلومات في المصادر والمراجع وسهولة الوصول إليها: وهذا يجعل الباحث قادرا على تغطية مستلزمات البحث بلا أدنى صعوبة قد تعيقه عن انجاز العمل بالشكل المطلوب. ومن بعد يجعلها شماعة يعقل عليها فشله في انجاز البحث بالشكل المطلوب.
- تحديد الموضوع بإطار زمني متوازن: لا هو بطويل فينفرط عقد البحث منك، ولا هو بقصير فتشح قيمة البحث. ويشير الدكتور حسن عثمان بهذا الصدد قائلا: "فينبغي ألا يختار موضوعا طويلا إذ أن اختيار ناحية أو مسألة محددة يمكنه من إنجاز بحثه في وقت مناسب مع الإتيان فيه بجديد على العلم ويحسن أن تكون جزءا من موضوع عام مترابط البناء".

خلاصة القول يمكننا تحديد بعض المواصفات عند اختيار الموضوع لدراسته والكتابة فيه، وهي:

1. أن يقتنع الباحث بالموضوع الذي يريد دراسته.
2. أن تحدد الإشكالية بصورة واضحة مع إمكانية دراستها وتحليلها.
3. تجنب الاختيار العشوائي والسطحي.
4. توفر الرغبة في الاختيار للموضوع من دون تحيز أو ضغط.
5. أن تكون هناك أهمية للموضوع المنوي دراسته.
6. توفر المصادر والمعلومات والوقت الكافي لانجاز البحث.

وحينما يفرغ الباحث من عملية الاختيار، ويستقر على نوعية موضوعه وتسميته، لابد أن يتهيأ لإنجاز مسألة أكبر من تجربته التي خاضها، تخص التقدم

بتصميم وخطة لموضوعه، الذي تتجمع له مفرداتها من خلال دراسته للمصادر الأولية والثانوية، بعد أعمال التحليل والمقارنة التي قام بها لمحتوياتها. وهنا تطرح التساؤلات التالية: ما هي خطة البحث ؟، وكيف ترسم وما هي الشروط التي يجب أن تراعى في عملية اختيار مفرداتها ؟.